﴿ الجزء العاشر ﴾ ﴿ المجلد الحادي عشر ﴾

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ — ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾



اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة وذهبوا مذاهب مختلفة في تبيين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقعا واليك كلامه :

بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أ كثر ماكانت العرب فيه شاعرا وخطيبا ، وأحكم ماكانت لغة ، واشد ما كانت عدة ، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، نصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عِليتهم واعمامهم وبني اعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذبا- بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما أراد تحدّيا لهم بها وتقريعا لهم بعجزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا .

قال فهاتوا ولو مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته ، لأن سورة واحدة وآية يسيرة كانت انقض لقوله ، وابلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الاموال ،

وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع واللفظ المنثور ، ثم يتحدى به اقصاهم ، بعد ان ظهر به عجز أدناهم ، فمحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء كلهم في الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين ، مع التقريع بالتقصير والتوقيف — على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد أعمالهم ، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، كما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل وهم يبذلون أكثر منه ،

تتمة الخطبة الاولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لما نشر في (ص ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالمة بحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولاسيما إذا كان أمة . فهذا سبب ما كنتم تقاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للمتهمين به وهو عندها أشد الجرائم !!!

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحداً من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المنافقين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاجانب ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتدون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكلون على مالا يتكل عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات! ولم يجعل الله ذلك سببا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذكر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أنذروا هجمة روسيا عليهم فلم يعدوا لها ما يستطيعون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حماية شاه نقشبند ! (هو الولي الذي تعزى اليه الطريقة النقشبندية) فلما

زحف عليهم جيش الروس لم يملكوا من نجدة هـذا الوليّ لهم شيئا ، بل انقلبوا على أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين

فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الامة أن تعدّ لاعدائها ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعـالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، واتكلت في حياتها السياسية والاجتماعية على الاموات ألا تكون جديرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهـذه هي حالنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان لا يذر المؤمنين على ماهم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من المجددين من يعلمنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام ، :

ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فرأوا ان جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية ترتقي وتعز، ودول الاسلام تتدلى وتذل ، وبحثوا في سبب ذلك فرأوا ان المسلمين مؤلفون من كل جنس ، ومتبوّئون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سـببا مشتركا بينهم لا يشاركهم فيه غيرهم ، الا تقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه والاخذ بما عليه أوربا !!، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من نابتة الترك والهنود والمصريين والتونسيين

فهذا صنف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي مقت العـلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصنفان يتجاذبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليبقوا على ماهم عليه وما هم بباقين ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ماهم عليه حرصا على دينهم وقالت لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم و بين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أنتم

قادرون على حملهم على تعلمها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبحثوا معا عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق بفطرة الناس في أفرادهم وجمعياتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمـال تنافي الدين فنفرتم المسلمين عما به قوام أمتهم ودولتهم

والتفتت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين فقالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل نفعكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، و يعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يجمع لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى . طرق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هزا ، ولكن يوجـد فيكم من لا يعرف شيئا من أنبائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم ممن استقرأ أخباره ، وتتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسـلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحييهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال

بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هـداية القرآن الذي يجعل أمر المسلمين شورى بينهم ، و إنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد؟!! (وذ كرنا ملخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبدين يحاولون ان تكون رتبتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدمة له ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تعبد، يستخفون الامة و يستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاسمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال«أنا ربكم الاعلى»

لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الاحيث تكون الحرية وحكومة الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو النيابي، وكان من أعضاء حز به توفيق باشا ولي العهد للامارة المصرية يومئذ ، وقد عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشوري المقيد ، ولكنه لم يكد يستقر على كرسي الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر حبا في الاستبداد ، وتلذذاً بالاستعباد. ولكن السيد لم يملَّ ولم ييأس، بل صبر ينتهز الفرص، فجذبته الايام الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لإنشاء حكومة الشورى فنفاه الشاه من البلاد، ولقي من البلاء في ذلك مالم يلقه الا قليل من العباد ، ثم قذفت به المقادير الى الاستانة فأحسن السلطان اليه ،حتى طمع فيه ،ولكنه ماعتّم ان يئس منه، حتى مات هناك غير راض ولا مرضي عنه ،هكذا قضى حياته في التطويف في البلاد ولم يتخذ له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان للسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه ، ولكن لم يصدر أحد منهم ريَّان من مشربه ، ويثبت على مذهبه ، الا الشيخ محمد عبده ، فقد كان هذا الامام الجليل تربى تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمنا طويلا لايكلم أحدا ، وزمنا أطول من ذلك الزمن لاينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير إصلاح نفسه، الاماكان من درس يقرؤه لاخوانه المجاورين في الازهر ، ثم رجع الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب ·ولقد دخلت عليه مرة بيته فرأيته يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من الاذى في سبيل ربه ، وكان في كل سنة أو أكثر يعتريه تنبه عصبي من إطالة الفكر في سوء حال المسلمين حتى همَّ في ليلة من ليالي رمضان أن يطيع هذا الوجدان فينزل الى جوار الازبكية حيث مجامع اللهو وينادي :أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من العيب حتى تركتموه ؟ اخبروني لعلي أبين لكم خطأكم . وأرسل اليَّ مرة يخبرني بأن

مرضاً ألمّ به فمنعه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فجئته فاذا هو في حجرة النوم واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت له ماهذه الكتب وماهذا المرض؟ فقال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المعقدة عن القرآن قد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التنبه العصبي الذي تعرف حتى أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبهتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمناً مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في مصر فترك السياسة واشتغل بالاصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لإصلاح حال المسلمين ، ويوجد في المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للمرجفين عن بغي وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي تحرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتنفر من العلوم العصرية والمدنية الغربية وأهلها هم الا كثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند حدوده في شيء وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا لضعفهم ولايرجى منهم خير لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجى منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم مجلة المنار . وقد كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجمع لأمتنا بين مصالح الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بفائدته فلا ينبغي للمسلمين انفسهم ان يجهلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات العصرية التي تقوى بها

أمتنا وتعتز بها دولتنا · ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقمنا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الامرين ، فنحن اذا لم نجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا تقوم لنا قائمة · فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا اليها حكيما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها ، وهومستعد بمعونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة و بين الكتاب والسنة، ومن اشتبه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه · فهم على علم بطريقتنا في الاصلاح على كون المنار كان ممنوعا عنهم وقلما يصل الى الاستانة جزء منه، فندعو جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان الى هذه الطريقة بل ندعو اليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، فنهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعده بماله ، ومنهم من يساعده بماله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ، اه ما كتبه ذلك الاديب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدراك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازما عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الاصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القرى) والاصلاح السياسي بكتابه (طبائع الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

الانقلاب العثماني (*

﴿ وتركيا الفتاة ﴾

٢

بروتوكل لونده ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افندم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم — والحق يقال — فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لونده وليس للدولة العليــة مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافيا ودينهم مسيحيا !!! كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بهــا تحت مراقبة الدول و إشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجيــة الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجتــه اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا نقود في خزينتها · وكرر عليهــم ما قاله مدحت باشا في المجلس

*) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روحي افندي الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لائحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من العسرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكريه . فاعترض اكثر المبعوثين على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ، وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجبل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا تصديق ذلك وأنتم في هذه البهرجة والالبسة الغاليــة والدور المفروشة بأحسن الاثاث والرياش والعربات والخيل المطهمة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لمـا كنت في بلادي لم يكن علي إلاّ ألبسة مرقعة باليه كبقية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتكم ترتدون أحسن الالبسة وتتألق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب الذي ترونه عليّ من سوق الدلالين !! وأنا مرهق ، لا من المخازن الكبيرة وانا موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحـافظة عليه تقضي عليّ ببيعه فأنا أبيعه وأنا مغبوط وأعود الى ثوبي المرقع .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايلي ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندره المنظم بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة باريس ، فقرئت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاقوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح الموعود به فصارت الحرب ضرورية لان روسيا مضطرة الى إيفاء واجباتها نحو الاهالي المسيحيين !!!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطا لحقها وإزراء بشرفها وعبثا باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس. وصارت النشرات (سيركولير) والمحررات السياسية تتطاير من عواصم أور باوالانذارات (ميموراندوم) والمذاكرات تتساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعا بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين ،فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي هو داعية للتفريق ،وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عثمانيين) بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ،وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدفتردار (رئيس المحاسبة) والمكتوبجي ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ،وطلبوا إخراج المفتين من بين الاعضاء الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين.

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار هذا الزعم الفاسد فالمفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة، وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ،وانما هو من علماء الحقوق المعروفين عندالافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضا على تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد والاذلال والاستعباد ،فهو لايوافق روح الحرية والمساواة. واستعلم بعض المبعوثين عن احوال معسكر الاناضول ونقصان التجهيزات العسكرية ،وعلى تعين احدالخدمة قائمقام وقد كان (شوبقجي) اي حامل قصبة التدخين عند بعض الكبراء ، الى غير ذلك.

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب فتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثاً للتذرع بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقتراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت إقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ماطلبته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس: ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا الينا مبعوثين اوفر عقلا وأكثر وقوفا على ما تحتاج اليه البلاد !!!

فيرى من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجهل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبداهتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياستها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم نظر الوصي إلى الصبي ! ! !

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وابرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة مادل على حياة الامة وفتوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الادارة كانا سببا في انتصار الروس في أوربا وآسيا ، وتجاوزهم نهر الطونة (الدانوب) وجبال البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلفنا في اروم ايلي . وقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ما حير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الاعداء » ١٠ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة من الاموال ، لكثرة الإنفاق وانقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ، فتقرر إعادة التئام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوربا ، وعقد قرض لوندره ، وعقد الصلح مع روسسيا ، فجرى انتخاب ثان بأمور (أوامر) مؤقتة لا كما يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ و ١٣ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة العلية السلطانيه أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان عن شمالها حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من ناحية اليمين على صفين ، واعضاء مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم الرقيم المشتمل على نطقه لسعيد باشا باشكاتب المابين فتلاه على الحاضرين وهو :

« يا أيها الاعيان والمبعوثان

« انني أكتسبت الممنونية بفتح المجلس العمومي وبمشاهدة مبعوثي الملة (الامة) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي القومية واللغات وحق المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله :

« يا أيها المبعوثان

« ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقفان على مجاهرة أرباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فانني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رياسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (دسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكثر الجدال بين المبعوثين و بين الحكومة — لا بين الاعضاء المختلفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تنهب الاهالي ، والمحاكم ترتشي على إبطال الحق و إحقاق الباطل ، والضابطة تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابح التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد العساكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

الغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية « إن اعتزال أدهم باشا مدة للاعمال كان مراعاة لصحته هذا مع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ... » الخ .
وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر الفرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظار كما هي الحال في وزارات أوربا ، فحضر (الباش وكيل) الافخم الى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الاعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رياسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسؤلية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، ولكنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم !!! »

فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

« ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة إحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، تقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لأننا نحن الذين نمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين تحاولون نقضه وإبطاله ... » فأحيلت المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضع أوزارها ، وعسا كر روسيا استولت على أدرنه وتجاوزتها ، وطلبت اوستريا (النمسا) أن تجمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتنقيح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبعثت

انكلترا بأسطولها الى بحر مرمره في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تداخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمحاورات — على عادتهن — في هذه المسألة واعتمد المابين على ما بينهن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الاستانة وهو الحاج احمد افندي كتخدا الاسترجية (الكدش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فمجلس المبعوثان يتنصل من كل تبعة تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعة في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وجنح لسياسة جده السلطان محمود خان في إعمال القهر والاستبداد ، مفضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسييرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الاستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان لخلو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، ففي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

استخذاء المبعوثين والامة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعثرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطة المتطرفين منهم والمحسوبين على التكلم وإيقاظ افكار الامة بوجوب المهاجرة من الاستانة !

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تقلق الامة أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات! كأنها جمل المحامل

يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضرب به الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كمبعوث القدس الذي كان — بجراءته — يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) انه مبعوث القدس، و يقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لهم في الاستانة، والى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوربا . ولما اجتمع بصديقه خليل غانم مبعوث بيروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشئ المقالات الرنانة في جريدة الديبا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها — آخذه لكتابته في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فمحا كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بارادة الامة وانتخابها، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر، ومجلس المبعوثان لم يلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائزة عقلا ونظاما . ولكن اكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية، ولم يذكرهم بها مذكر ولا وعظهم واعظ !! ولا حررت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السكوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامة بالغلبة والاستيلاء، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا، ولقد كانت الامة حينئذ منهوكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب، لا دار الاوفيها مأتم، ولا اسرة الاوقد أصابتها مصيبة. وزاد البلاء بسبب البحران المالي، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبعث خادمها الى السوق ليشتري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود، فتطوي على الجوع وتتفتت اكباد الوالدين

لبكاء اطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقرى ، والعساكر المنظمة ، المدربة على الحرب ، المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فانه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لان جلهم — ان لم نقل كلهم — موظفون أو عائشون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها ، وإثارة اضغان العداوة الموروثة من الحروب الصليبية والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والاديار بإيعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والفظائع ومداخلة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخليل شريف باشا فانه لم يكن في عهد مدحت باشا الا فئة قليلة من صغار الموظفين وضباط العساكر والمتعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنساوي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الانقلاب ، أو الذين أصلهم من الاوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن المركي دوشاتونيف الفرنساوي ، وكثير غيرهما ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوربيات وربوا أولادهم تربية أفرنجية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدنية الاوربية وميلها اليها ، ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المعنوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطرهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لآمريهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامدين من المسلمين لم

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الاوربية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوربا المسيحية مخالفا للدين والآداب الاسلامية ، وشتان مابين المدنية الاوربية والدين المسيحي ؛

سعاوي افندي وحادثة جراغان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة علي سعاوي أفندي ؛ وكان من طلاب العلم المعروفين بالصوفتاوات ؛ مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ؛ وواقفا على الافكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفرالى باريس ولونده ونشر ثمة الرسائل والمقالات ، وكان ينفق على نفسه فيهما مما ينفحه به بعض رجال الاستانة، ثم عاد اليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ؛ وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ؛ فاتفق مع صالح بك الارناؤط احد الضباط وجماعة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ؛ وهجموا على سراي جراغان لاخراج السلطان مراد منها ومبايعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ؛ ففاجأهم العساكر بالسلاح فشتت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء

صدارة رشدي وصفوت وخير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ؛ ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ؛ ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فاكتسب فيها ثقة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ؛ وعين لها خيرالدين باشا الجركسي الاصل والتونسي النشأة ؛ وهو مؤلف التاريخ العربي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنساوية ؛ وتجول في ممالك أوربا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الافغاني وغيره، وعين رئيس الشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ و بقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال و بقي

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الاستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلاميزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين، وهو مخالف لحقيقة الاسلام، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالامر، ويحول بينهم و بين مآربهم، وهواشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة.

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزا له عن سميه ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين. وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة «حوادث» فاتصل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المابين وصار باشكاتب له، وهو المتسبب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي، وإعلان الحرب، وعزل القائد (السردار) عبد الكريم باشا وإخلائه موقع (بَيله) امام بلفنا، ومداخلة المابين في إدارة جميع الشؤون العسكرية، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي نقحتها معاهدة برلين.. الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المابين وتوقيعه، ولهذا كان مبغوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي. مع أن باشكاتب المابين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى، وكان الصدور لاينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضابط والمقررات والانهاآت واستصدار الارادات السنية بها، ولم يكن للباشكتّاب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة، ولا سيما في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا، فلما توفي عالي باشا وتولاها محمود نديم تدنت اهميتها بسبب نفاقه وتملقه للمابين وتقديمه اموال الخزينة اليه بغير عد ولا حساب. ولما ولي سعيد باشا الباشكتابة زالت اهمية الصدارة بتة، وانحصرت

الاعمال والادارة في المابين ، وصار للباشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا الصدر الاعظم الى المابين و يبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين!!

تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالنزاهة والاستقامة ، فلم يسمع عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكبين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ، ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادوافٍ من واردات الحصة التي أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية ، وأسست إدارة الديون العمومية ، و بوشر في مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الطرق والمعابر ، من دون ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور الاخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الا استبداده ومقاومته مشروع مدحت باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب المابين ،

لم يصد سعيد باشا كونه من رجال المكابين — لانه نشأ وتربى في المابين — ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكانتها ، وتمشية المصالح بالعدل على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك أعمال سعيد باشا موضعا للريبة ، وكثرت الوشايات به فصار مبغوضا منفوراً منه ، ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم للترجمة في المابين وانجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (!) على زعمهم و بحسب اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ماعدا دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثة التي مركزها في المابين تحت نظارة السرخفية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في الحقيقة والواقع فذهب بإصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب احتلال البلغار للروم ايلي الشرقية ، واصراره على ارسال العسا كر كما تصرح بذلك معاهدة برلين ،

صدارة كامل باشا الصدر الحالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وبإدارة الدولة ، لانه تقلب في جميع وظائفها ، فمن قائمقام الى متصرف الى والٍ الى ناظر ، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقلَّ شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آلة في يدالمابين ، مطيع لما يلقي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ماأصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والريبة في أعماله وشؤونه مماقضى بفصله

صدارة جواد باشا وضعف الدولة

لماولي الصدارة جواد باشاقو بل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعيينه ببال ، لانه من أمراء العسكرية وهوصغيرالسن غيرمتمكن من اختبارالادارة الملكية ، على انه كان من النابتة الجديدة ، وتخرج في المدارس العسكرية ، وربما كان الغرض من تعيينه هو الإيهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه ! ! ، كما كان رئيس الوزارة الالمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسؤول امام الريشستاغ ! فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال المابين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرُّشى من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بانتزاع المتلكات من أيدي أصحابها بالثمن البخس ، وإقامة الموظفين فيها يعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة ونفوذها ، حتى أصبح المابين حكومة صغيرة قوية ! ! داخل حكومة كبيرة ضعيفة ! لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلدبز السلطانية ! !

الجاسوسية في الدولة العلية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تتدهور بسرعة الى دركات التأخر والانحطاط، بعد ان خطت خطوات محمودة في سبيل التقدم أيام صدارة سعيد باشا، وانقطع أمل الاحرار العثمانيين وخاب رجاؤهم بعد ان كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي منيتا به قديما. فاضطهد هؤلاء الاحرار واهينوا وعوملوا اسوأ معاملة، حتى ذاقوا أشد العذاب الوجداني والأدبي، وصار أرباب الدناءة والفساد يتقربون الى المابين بالتملق والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم! ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنفيا من الاستانة، فكانوا — بمتريانهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الاعظم كالوحوش الضارية تريد افتراسه ونزع تاجه، ويزينون في عينيه الاستبداد، ويبعدون عنه الخيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الاصلاح، زاعمين انهم من ذوي الافكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة، حتى اختل نظام المملكة، وبطلت مراعاة الاحكام القانونية، والسير في إدارة الدولة على الاصول والتقاليد المعروفة من القديم، وفسد التعليم في المدارس، وانحرفت ادارة الامور الداخلية والخارجية عن محورها، ومالت الى التدلي والانحطاط، رغم الابهة الظاهرة، والعظمة الكاذبة، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة اذ تصطف العساكر في ساحة المسجد الحميدي امام باب السراي صفوفا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الاجانب، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي و« المشيرون وكبار رجال المابين حافون من حول المركبة مشاة خشع الابصار، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإمامية، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار». وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والعدلية (الحقانية) والمالية والمشيخة الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبيعون الوظائف والرتب بأسعار معلومة، ويقتسمونها هم وكبار الموظفين، فمن اشترى وظيفة بمئة

ابرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليها ! !

الميل عن انكلترا الى المانيا ، الحوادث الارمنية

انحرفت سياسة المابين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير الادارة المستبدة الظالمة ، واتجهت نحو المانيا التي لاترى بأسا في ادارة الدولة بالقسر الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جمعيتهم السرية التي في لونده ، واشار عليهم بعض رجال السياسة كغلادستون بالقيام والهيجان حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذابح البغار هاجت الافكار العمومية في أوربا ، وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمينيا ، كما حدث في البلغار والجبل الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين فقد جاء فيها مامعناه « يتعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات التي تقتضيها حال البلاد الداخلة في الولايات الآهلة بالارمن ، وبحمايتهم من الجراكسة والاكراد ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في هذا السبيل للدول المشرفة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية انقلابية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين للدولة العلية وروسيا والعجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الانقلابية والسياسية ، وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير . فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخابر بعضهم كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لامحل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد ليسا موجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والاتراك وعموم المسلمين والمسيحيين ، فانهم جميعهم يئنون تحت اثقال التكاليف وارتكاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك أكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقعدهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد ، وان اتفاق الارمن والاتراك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والغيرة الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيبه لا تعده تركيا الفتاة إلا خيانة وجناية وضررا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى تجنسهم بالجنسية العثمانية لايزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الغنى والثروة والرفاه ، وبيدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق وائتلاف تام مع الاتراك حتى اذا أطلقت كلمة «ملت(١) صادقة» لاتنصرف إلا الى الارمن . فبناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم إفهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوربا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبذ التهور في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا دعا جواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، ولقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل المماطلة والإرجاء ، واوربا — ولا سيما انكلترا — واقفة للدلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) المنار : يراد بكلمة «ملت» عند الترك الامة ، والملية هي القومية فكل مايرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ماذكر ، على انا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيرا لها

الى المشكلة الكريدية الى المسألة المقدونية وهلم جرا . . . ورجال المابين اكثرهم جهلاء أغبياء ، لا خبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم شياطين ابالسة لا يدأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخوفون السلطان من حزب تركيا الفتاة ومن القيام بالاصلاحات . ويشيرون باتخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام والاسلام بريء الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لآبي الحق ان وجبا

والمرء يعييه قود النفس مصحبة للخير وهو يقود العسكر اللجبا

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والعسف بالامة أن تأسست في الاستانة جمعية الاتحاد والترقي لاخماد نار الفتن المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بعثت الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤) فريقاً من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطبية — الى باريس ليؤسسوا فرعاً للجمعية فيها ويقوموا بنشر الجرائد والرسائل . وكان في باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على نفقة الحكومة العثمانية او نفقته الخاصة ، و بعضهم يدرس و يشتغل بالمسائل السياسية وأشهرهم احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادىء جمعية الاتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاستانة منذ خمسين سنة تقريباً ووالده انكلز علي بك وأمه مجرية ، وسمي انكلز لتعلمه الانكليزية ووقوفه على المدنية الاوربية كما مر بيانه ، والا فهو من الاتراك المسلمين وكان من معتبري الموظفين الذين نشأوا في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فتخرج أحمد رضا بك في مدارس الاستانة

وعين مديرا للمدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحس من نفسه بلزوم السفر الى أوربا للاطلاع على علومها ومدنيتها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختلف الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شفقتي بك الذي كان يصدر جريدة « استقبال » في ايطاليا ثم في فرانسا، وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرر لائحة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لائحة مصطفى فاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرهما من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أسباب الانحطاط وعلله الفلسفية .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخليفته بيير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسسة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التفاني في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينفرون من الانغماس في الشهوات وتبذير الاغنياء لأن المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يبتزون الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعبثون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يعدونه ساقطا مهما بلغ علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الخلال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبدأه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزىء بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » رد فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية مما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنساوي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الاهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية

ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع مونج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة فقصد اليه الوفد وذاكروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمت على شيء فانني لا أرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أمم مختلفة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة البيزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أوادارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار ونفاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طبية لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية ناطقة بمقاصد الجمعية

معاكسة المابين للاحرار في اوربا

أمَّ باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العمائم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والوريقات ، وادبوا مآدب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرفت همم رجال المابين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والرتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب تُعط » كما ينقل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتميا

بل اكثر ، كان سلطانيا شاهانيا !! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي !! . واقدم الجرائد التي ابطلت جريدة المرصد العربية التي تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة عقله وذكائه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالبانية وغيرها ، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بجلب أهل الظنة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالمرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيداء والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المابين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية . ولو اطلعت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولرأيت للانقلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوربا الا ايصال الشكية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، وافهام الدول الاوربية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوربا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة «مشورت» يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرانجه القاضي بالسماح عنه . وبينا كان المابين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمشكلة الكريدية ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان — مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للعساكر العثمانية فأخذته العزة ودام على سياسته الاستبدادية ، وقعدت همة لا كثيرين

من حزب تركيا الفتاة فخضعوا لاحكام الاستبداد جبرا وقهرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوربا وكثرة الانفاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من علمهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على المرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أمدوا بعضهم بالاموال وكانوا عونا لهم . اما الجمعيات الارمنية والمقدونية الانقلابية فان أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانوهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علمت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان العثمانيين لجمعيتهم هو موت النعرة الوطنية في نفوسهم وفقد الحماسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المابين واستفحال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية العثمانية قوة الامة العثمانية وحميتها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد العساكر وكفهم عن النهب والعبث بالآداب وغير ذلك من الافعال الهمجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وابرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابتلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوربا

زاد غرور المابين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصورة ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الالتفات والاقبال والتقريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحمة) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهيم باشا الجبار العاتي — أولئك الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذبذب حيران ، حتى لم يعد لاحد ثقة بالحكومة ، وكاد الانقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المابين من يعرف اللغة الفرنساوية بله غيرها من لغات أوربا ، وهم في جهل مطبق بالسياسة . ولذلك كثر الخطأ السياسي وسوء الادارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(لها بقية)

البلاد العربية والسكة الحجازية (*

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أخصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحارى رملية منخفضة شديدة الحرقلية المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والغربية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يجتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال الثراة وبلاد شحر وحضرموت وجبل صعدة وصنعاء

---

(١) المنار : الشفرة في اللغة التركية هي المخاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المتخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

*) بقلم رفيق بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة المخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات الينابيع الغزيرة والاشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما يتسع لهم المجال وتساعدهم الحال ومع هذا فان بلادهم مفتقرة الى إصلاح كثير وعناية من الحكومة كبيرة، لفقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنبات أنواع الزرع وفقد الراحة والامن في أيام الحكومة الماضية التي كانت كلها أيام خصام ونزاع بين الحاكم والمحكوم له كادت تفضي الى خراب البلاد

ولو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران الطبيعية ثمة لكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم ببضعة عشر مليونا من الليرات، وأهم أصول الاصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة والاهلين هي :

(أولا) إن مياه الامطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكوّن مجاري وسيولا لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الارض على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار، فاذا تتبعت مظانّ هذه المخازن وحفرت فيها الآبار ثم استكثر من عمل الحياض والخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقيا عامة في أكثر اطراف اليمن وتحولت تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة حافلة بالزرع والضرع، ويساعدها على ذلك ما منحتها إياه الطبيعة من قوة الانبات والخصب، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن والقطن والنيلة وأنواع البهارات وغيرها، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات ويؤخذ منها ثلاث غلات، والبلاد الجبلية صالحة لاستنبات جميع أنواع النبات الذي ينبت في البلاد المعتدلة، ناهيك بقطر عظيم كاليمن اذا بلغ نظام الري [illegible] فيه مبلغه في الهند ومصر فانه يكون بلا ريب من اغنى البلاد العثمانية [illegible] ذلك [illegible] مصدرا [illegible] للحكومة والاهلين اذا أضيف الى ذلك بقية [illegible]

(ثانيا) ان تقسم ولاية اليمن الى ثلاث ولايات احداها صنعاء والثانية عسير

والثالثة تعز ، لكي يتسنى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة منتظمة تشرف بها الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرافا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتنائية و ينشر راية العدل والراحة والامن على كل البلاد ، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الاتراك ، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عزمت عزما ! كيداً على اصلاح البلاد اليمانية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديدة وجعله مرسى امينا للسفن ، ومد خط حديدي من الحديدة الى صنعاء ، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدريج بقدر مايمكن مالية الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الارجاء يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها ، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الارضية التي لايتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات ، ولقد عُرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويظن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعا منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجه فعاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

ومما لاريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليماني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ، فانها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جُدة سهل مدها الى الحديدة عن طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديدة الذي يتصل بصنعاء ، وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب واقصاها في الشمال والغرب اذ تصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية مالا ينكر قدره ومنفعته ولاسيما بعد

ان صار البحر الاحمر مزدحماً لعدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية

ويجدر بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور، وفي اصلاح شؤون بلاد العرب والتوفر على عمرانها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها وضعف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمرانها والانتفاع من ثمراتها كمستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فما أحرى الدولة العثمانية بأن تنافس الدول بقطر عظيم فسيح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظاً من الاصلاح عظيماً ، ولاسيما في عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة العثمانية جمعاء ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي نتمنى أن تكون خير واسطة لعمران شبه جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهي منها الآن قسم عظيم و بلغت المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط باحتفال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لاتمام الخط الى مكة البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم، وطول الخط من دمشق الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة وكيلومتران يضاف اليه الخط من حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا، فيكون مجموع ما تم من الخط الى الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠ كيلومترا

والخط يمر من الشام الى معان في سهول منبسطة وأراضي خصبة مبثوثة فيها القرى الآهلة بالسكان، الا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت أراضي معان أخصب من أراضي حوران

السكك الحديدية
في بلاد الدولة العثمانية

سكة تامة

سكة يراد اتمامها

بحر الروم

(مستعارة من مجلة المقتطف الغراء)

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شيء كثير ومنها الملعب (Amphithéatre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخارطة سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ماروي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان وعمان أكثرهم من عرب البادية و يشتغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى لمهاجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجملها بقاعا . ولقد همّ كثير من الناس بابتياع الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان وعمان لاحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأثر بها أفراد من المقربين ولم يكن شيء من ذلك الى الآن . فنرجو ان توفق الحكومة الحاضرة لاطلاق يد الناس في استعمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين واذا مضت المدة ولم تصلح الارض وتستثمر ساغ للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همة الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لاصلاح القواطر ومخازن للسكة الحديدية ، ويليها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلا فانها قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفاكهة والنخيل وتجود في أرضها فواكه البلاد الحارة كالنخيل والموز والليمون ، وأهلها بارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة. ثم يعودون الى بلدهم لاجل الاعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنعهم من التوسع في إنشاء الحدائق والاكثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والاشجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزرع النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لانتفعوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوّها لا يناسبهما في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدّ ناشط من هذه السكة الحديدية من معان الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلو مترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن

وكل من رأى خط السكة الحجارية لا يسعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس إنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لنرجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله إلى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لانجاز هذا الخط خير الجزاء

باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (*

(الكلمة السادسة)— في التواتر

أهم مايطعن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم وللحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرائن أخرى قطعية، فهؤلاء الآحاد الذين كان يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها ان يوقنوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد. وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات تحققوا أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاخذ عنهم، وقبل أن يحققوا ذلك لا تجب عليهم طاعتهم ولا الاخذ عنهم فهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إنما هم مطيعون لله ولرسوله ولأولي الامر، فاذا قالوا لهم ان الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لأنهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لأنهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا اذا علموا بكذبهم وحينئذ يرفعون الامر إلى رسول الله فيحكم بعزلهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهؤلاء القوم ما كانوا عاملين بالظن و إنما هم مطيعون لامر يسمعونه من أولياء أمورهم

*) تابع لما نشر في (ص٨٦٦ ج٩ م١١) من مقالة الدكتور محمد توفيق افندي صدقي

بآذانهم فيأخذون به و يعملون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أولم يقله فالعهدة فيه على رواته

فان قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن و الافكيف يوفق بأن هؤلاء القوم لايبلغون عنه إلاما يريدون؟ — قلت ان الرسول إن لم يعلم ذلك بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن اصحابه البعيدين عنه كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والايمان وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاقهم وأميالهم وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدنا — وإن كان نظره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبه واخلاصه بعد معاشرته له زمنا طويلا في أحوال مختلفة . وان بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجويز الخطأ أو النسيان عليهم فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات منقطعة عن المسلمين بل كان بينهم و بين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين مرات عديدة في السنة للزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك و يذهب إليهم المسلمون لمثل هذه الاغراض فاذا حاد المبعوثون عن شيء مما تلقوه عن رسول الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ أو يعزلهم او يعاقبهم . فبالوحي و بثقته الاكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا طويلا و باخبار الذاهبين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على مايبلغ عنه في تلك الجهات ومهيمنا عليه فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به مطيعون لاولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب الا قليلا فيمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية في مبدأ الدعوة حتى يعم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع معلمي المدارس وتلقيهم العلم عنهم وعملهم به فان الامة رقيبة عليهم فان أخطأوا في شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان مايصل الى علم الامة وأولياء أمورها فيتلافونه في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لان رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى تجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يعينهم لهذا الامر ولم يقم رقيبا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إلفات نظرهم إليه وتنبيهم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحاله وإلا فلا يمكن الايمان لاجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتمهيد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والخلاصة أن القرآن الشريف يذم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن ان الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لهم بما يذم به غيرهم ويلومهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما بيناه في الكلمة الرابعة فلذا اشترطنا التواتر فيما يجب علينا الاخذ به في الدين فدليلنا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنته صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقه صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقتي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلا نزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لاصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالاتنا الاخيرة تلك التي رواها الآحاد وانفردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعمالهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن دينا عاما لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت اليهم لاحوال خاصة وظروف مخصوصة أو انها كانت للارشاد والندب لا للوجوب ولذلك لم يكن اتباعها عاما بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الاحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخبط . وقد أدرك الامام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل اهل المدينة على الاحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدها وقد رد من ذلك مئات كثيرة

أما تسمية الاحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالاتنا الى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فان السنة لا تكون الا عملية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأ يجري عليه العمل دائما فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلا قد أكون متبعا لسنة الاستاذ الامام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعا سنته فان سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وتحري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاما أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصلحة في زمننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعا سنته صلى الله عليه وسلم فان سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الاخبار المتعددة المصادر المختلفة المبنى المتحدة المغزى وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما أوحي به إليه أو ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجمود والتقيد

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كان أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لآرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خالفه منهم خرج عن سنته فان سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد وتحري العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خالف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته و بعد مماته بعض أقواله و بعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئاً من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وفقنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الامور تعلم من نصوص الكتاب العزيز ومما تواتر بين المسلمين عنه قولا وعملا ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . فسنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الامر باتباعه والاقتداء به والجري على منهجه والاهتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضا المراد مما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل ما معناه : إن الأحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها . كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الاصوليين « إنها ظنية »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في العقائد »

(٦) وقال كثير من الأئمة كالقاضي عياض « إنه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقا بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتمييزه عسير وفي بعض الاحوال مستحيل » راجع ماذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « ان الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا ببضعة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها » وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك اكثر اسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على ان الله لم يتكفل بحفظها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان

(١٣) لم يجمعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يبلغوها إلى الامم بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام إلا لضرورة

(١٥) انهم نهوا عن كتابتها وأمروا باحراق ما كتبوه منها كما في الروايات التي صحت عندكم

(١٦) قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) كان أفاضلهم أقل الناس حديثا ويصدفون عنه ولو كان واجبا لما كان هذا حالهم

(١٨) من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوه للجنون كافي كتبكم

(١٩) إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها ومامنهم من أحد إلا خالف في مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يعتن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما عملوه بها فأي فائدة منها ترجون ؟ وأي ثقة بها تثقون ؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعته حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم · فيجب علينا أن تقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يعمينا الجهل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ اليافعي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدحض حجة · فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثيل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها · وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر منه عليه السلام وباملائه على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سوره مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم فى عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتبا ما كان معروفا لهم فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو رقي فى الصناعة التابع لرقيهم في المدنية بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعملوا المصاحف في زمنه ولما اختلف في ذلك منهم اثنان (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار) · ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدنيوية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بعقولهم وتدرجهم فى سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الامم الاخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتبا كما انه لم يوح اليه بتعليمهم أي

صناعة أخرى بل تركوا وشأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان

والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجاراة الترقي في الصناعة. وقد ترقت صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي

وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع استاذ المنار فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة)— أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي —
إعلم بأن من الحجج مايسمى (بالاقناعي) وذلك ان تحتج على الخصم بما هو مسلم عنده كأن تحتج على النصراني ببعض ما في الانجيل الحالي وان كنت غير معتقده . فأنا أورد الاحاديث غالبا لا لاثبت معتقدي لنفسي بل لاقنع من لا يقنع الا بها ولست أعول في براهيني القطعية إلا على مايفيد اليقين فما اذكره من الاحاديث إما لاقناع المسلمين وإلزامهم بها او لتكثير من الادلة بضم ضعيفها الى قويها ليقوى بها مع استعمال مبدأ الاستنتاج والنقد فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ العصريين فانهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض مايعثرون عليه من الروايات ولو كانت من الاساطير ويستنبطون منها مالا يستنبطه الجهلاء من الحقائق بعد ان يستنيروا في دياجير ظلماتها بمصابيح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين حكاياتهم شيئا من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من وسط الخرافات ويتثبتون من صحة ماالتقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فاذا أراد بعضهم ان يعرف مثلا أصل الحجر الاسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكم بها بحث النقد والعقل فاذا سمع رواية « ان الله استودع الحجر أبا قبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال له اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى ابوقبيس ابراهيم فجاء فحفر عنه فجعله في البيت » استنتج منها بعد ان يزيل قشورها واوهامها حقيقة هذا الحجر وهو ان اصله قطعة اخذها ابراهيم عليه السلام من احجار جبال ابي قبيس السوداء القريبة من الكعبة ووضعها في احد

اركان الكعبة علامة على الركن الذي يبتدأ منه بالطواف ليعرف الطائف كم مرة طاف
بالبيت وليبتدئ الناس بالطواف من نقطة واحدة حفظا للنظام وتسهيلا للطائفين (١
وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عنده
من الاشعار والحكايات القديمة كالياذة (هو مير) فاذا كان هـذا مايفعله العلم
في الاساطير فهل يستنكر مني أن استشهد لقوم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عنده
وهي التي يعولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالي بشيء م
ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من النقول ولو كا
صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فانها تكاد لا تغادر شيئا (إني والله لفي حيـر
من أمرهم ! !) على ان كثيرا مما أذكره في مقالاتي مروي عن كثير من الصحا
بالاسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقو
بأنها جميعا موضوعة لايكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لارواء غلتهم وإشبا
نهمتهم في العلم فلا بد إذاً من البحث والتنقيب . ولو رفض المسلمون الآن
ما ألزمهم به من الاحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لهـا صحيحة أ

(١) حاشية للكاتب — تقبيل الحجر الاسود هو كتقبيل آثار رجال التار
العظام احتراما لهم واجلالا لشأنهم وحبا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أودو
شكسبير وقلمه ان وجدت ولكل أمة آثار موروثة عن رجالهم العظام ويقبلو
وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بنائه الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الامة العر
فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمو
في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هـذا الحجر
القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هـذه الآثار يضر أو ينفع فقد خر
عن عقله وكفر بالله ورسله . ومن العجيب أن الافرنج يسمون تقبيلنا لهـذا الحـ
عبادة — مع أن التقبيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصور
وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهـ
الاشياء مع أنه شتان ما بين السجود والتقبيل فانظر وتعجب ! ! !

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التميز عندهم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟ فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأنر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدنا . ونبيك إمامنا وقدوتنا ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المامة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾ (*

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآنف الامر الأول من الامور التي تؤخذ على المؤلف وهو « تردده أو انكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . ونشبثه بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذهنه فقط » ومثلنا للشق الاول من هذا الامر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل الثاني ونأتي على بقية الامور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة النبط في بطرا نقل عن التوراة وعن كاتمير الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا عربا وانهم آراميون اتوامن الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر الاول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفيوس من غير ان يذكر برهانا واحدا على نقضها واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الاول ان اليونان حينما ذكروهم سموهم عربا (ولعله يعني تسميهم جزيرة العرب إلى عرب بترية في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلان

*) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الاسكندري

يتضاءلان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين ينعكسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لا له . ونحن ننفي أولا هذين الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبجاة لا يعرفون العربية. على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني انتيغونوس وابنه ديمتريوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك ما نقله حضرة العلامة المفضال جبر ضومط عن يوسفيوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣ مقتطف) على أن ... من المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافا لهم حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ماعثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاعة وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد من تاريخ يوسفيوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية انجليزا لان امبراطور الهند انجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو مما لم يقم عليه دليل وما كان أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن الآراميين الذين جاءوا مع بختنصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ماهو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعده ان النبط غير العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاتكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسبه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم تخالف العربية وتنال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية . بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخيـة من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غـير العرب وان الإله انتقم من الادوميين وضربهم بغارة بختنصر فدمر عليهم وأورث الارض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أدوارهم احلافاً ليهوذا المكابي وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظاهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الاجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفيوس من ان النبط بقوا مسـتقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن ارسـتو بولوس بن يوحنا هركانوس بن سمعان أخي يوناثان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاترمير الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أمم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن بختنصر اذ سكان بطرا قبل بختنصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان بختنصر أباد الادوميين تحقيقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهـم بلاءه ويجعل جبال عيصو خرابا وميـراثا لذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يفنيهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها بختنصر في بطرا ليكونوا حراسا ونقلة لتجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغاتهم من الالفاظ العربية لا يربو على ما يوجد في العربية المضرية من الالفاظ العبرية

على أن المؤلف الا أحسن تضعف دليله عن تجريده تلك الحلة التي هاجها في

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع تيقنه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا زعم بلا دليل ان لغة تخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لا نظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاه ناموس الارتقاء» هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا تمام الاظهار ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعرابها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي لا تتناهى قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل قبل هذا الوقت ولاسيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أبعد الناس عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه

(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ماوجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم يدل على انهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنو النبطي تشهد بذلك فان كان نبط الشام خالطوا قضاعة فنبط العراق خالطوا لخما وجذاما او بكرا وتغلب وعبادا

ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبثه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول اليمن ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقفى على أثر ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا تبتدىء أخبارها منذ أربعين قرنا قبل الميلاد لعثورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسماري « ان زام سين حمل على مغان وقهر ملكها معنيوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم في «معنيوم» للتنوين و بالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واختزل حتى صار (معينا) وكذلك نقل عن سفر الاخبار «أن الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى المعونيين» أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث حدثت في برية الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يماني

ولو كان الشبه بين لفظين يكفي ان يبنى عليه تاريخ أمتين لقدحق لنا ان نقول على التاريخ العفاء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا انهم من جالية الآراميين أتوا من العراق في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الامر بأن المعينيين لوكانوا من العراق لكتبوا بالخط المسماري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من الفينيقي فلم يرحلا لهذا المشكل سوى ادعائه بانهم استبدلوا بالخط المسماري الخط الفينيقي لسهولة هذا الاخير في نظره !!!ولكن كل هذه العراقة في القدم لم تمنعه من وصفهم في موضع آخر انهم كانوا معاصرين للسبئيين الذين لم تبتديء دولتهم على رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد ونقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) ثم يتشبث في موضع آخر بأن القحطانيين السبئيين كانوا بعد المعينيين أو انهم ورثتهم أو انهم حبشان أو انهم عمالقة جاءوا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة وارتباك يهون عليه معهما نبذ كل هذه التخرصات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت قبائل متجاورة في مخاليف متقاربة أعظمها مأرب

الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في عدة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة (١٦٦) لم نجد لذلك أثرا في الآثار المنقوشة ثم نقل في صفحة (١٥٩) اثرا عظيما لابرهة الحبشي وفيه يسمي ولاته من حمير واقيالهم يزيد وكبشة ومرة وثمامة وحنشا ومرثد كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائيين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال «جبأ مدينة المفاخر وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الاصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئيين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان المعينيين القادمين من العراق نقلوا معهم حضارة العراق ونظام حكومته وقسموا اليمن الى محافد وقصور وطمعوا في جيرانهم واخضعوهم وانشئوا الدولة المعينية والسبئية والحميرية

ومنها تناقضه في ان المعينيين لم تعرفهم العرب مع انه نقل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل ان « محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقتبلتان فمعين بين مدينة نشان و بين درب شراقة » وروى ان مالك بن حريم الدلاني يقول فيها

وتحمى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا

وفيها وفي براقش يقول فروة بن مسيك

أحل يحابر جدي عطيفا معين الملك من بين البنينا

وملكنا براقش دون أعلى وانعم اخوتي و بني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث نقل عن ابن خلدون وحمزة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وان بطرا كانت تسمى بعد الاسلام الرقيم ولهم فيها شعر هذا الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته أدوار تاريخ العرب وكتسميته الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهيين بالقربيين نسبة الى قرية وهي إسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون « انهم أغنى أهل الارض ويكثرون من آنية الذهب والفضة و يزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة » فمتى كان أهل اليمامة أغنى أهل الارض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة؟!! أليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي تقال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي يبكت حضرة جرجي افندي زيدان جهلة مؤرخينا على ذكرهم

لها! ولكنه لا يبكت استرابون بل لم يكتف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسمها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخـذ على المؤلف ارتياب القارئ في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسعد ذي كرب في آسيا وأفريقس في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصـديقه خرافات استرابون وهيرودوت مع انهما لم يدخلا بلاد العرب ولم يرياها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماتقول وهذانصه :

« وذكر استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غريبا في بابه فبعد ان أورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمتاع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى مللتهم واحتالت على منعهم بعصي اصطنعتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعتها على مثالها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيئ أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثـل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم بباب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها السوء فشكاها إلى أبيها ولما اطلع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لغرابتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اه

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عنـد ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدمجه ويجمل فيـه ويحيل القارئ على الكتب الاخرى ! !

الامر الخامس سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن(؟)

الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعـد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم مع ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام

الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتى انه لا يرى المطلع على كتابه خبرا مبرهنا على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية

الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريجه الاعلام تخريجا غريبا، قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ! ! وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ! ! الخ ما ذكر من التخريج

الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكمال لله وحده

آثار علمية أدبية

ترجمة الخنساء (*)

هي السيدة تُماضِر الصحابية الشهيرة الجليلة بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من سراة سُلَيم ، كانت رضي الله عنها من شواعر العرب المشهود لهن بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنس من صفات الظباء وهو تأخر

*) خلاصة درس القاه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتفاع في الارنبة ، ويقال لها خناس على سبيل التمليح ، وقد كانت من أجمل نساء العرب وأفصحهن، نشأت عزيزة حرة لاتفتات عشيرتها عليها بأمر مر بها دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد بني جُشَم وهي تهنأ بعيرا لها فانخلع لبه على كبر سنه وانصرف الى رحله وهو يقول :

حَيوا تُماضِرَ واربعوا صحبي ... وقفوا فان وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب (١)
متحسرا نضح الهناء به ... نضح العبير بريطة العصب (٢)
فسليهم عني خناس إذا ... غض الجميع هناك ما خطبي

ثم غدا إلى أبيها فخطبها اليه فردته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية ان يشفع له عندها فأبت بعد امتحانه وقالت : أأترك أولاد عمي كعوالي الرماح وأتزوج شيخا من بني جشم هامة (٣) اليوم أو الغد !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها

أتكرهني هبلت على دريد ... وقد أصفحت سيد آل بدر
معاذ الله يرضعني حبركي ... قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)

فهجاها دريد فقيل لها الا تجيبينه ؟ فقالت والله لا أجمع عليه أن أرده واهجوه ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحريتها وعزتها عند قومها

وقد كانت في أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الاول سنة ٦١٢م وقتل أخوها لابيها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبر بن طويلين، أكثرت من الشعر واجادت وأنسيت بهما من كان قبلهما وا كثرت المراثي ، وأجود مراثيها ماخلط فيه مدح بتفجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام المخلوقين ، كقولها في معاوية :

---

(١) الهناء : القطران ، والنقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير

(٢) النضخ كسفح : الرش . والعبير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاءة أو الثوب اللين الرقيق ، والعصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف القبور (٤) الحبركي : القصير الرجلين الطويل الظهر . والشبر : الخير والعطاء

سأحمل نفسي على حالة فإما عليها واما لهـا
نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أبقى لها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
فيوما تراه على هيكل أخا الحرب يلبس سربالها
ويوما تراه على لذة وعيش رضي فقد نالها
فخر الشوامخ من فقده وزلزلت الارض زلزالها

وكقولها في صخر

الا ياصخر ان أبكيت عيني فقد أضحكتني زمنا طويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقولها فيه

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر ندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته امردا
اذا القوم مدوا بأيديهم الى المجد مد اليهم يدا
فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم وان كان أصغرهم مولدا
وان ذكر المجد الفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها :

يا أم عمرو ألا تبكين معولة على أخيك وقد أعلى به الناعي
فابكي ولا تسأمي نوحا(١) مسلبة على أخيك رفيع الهم والباع
فقد فجعت بميمون نقيبته جم المخارج ضرار ونفاع
فمن لنا ان رزئناه وفارقنا بسيد من وراء القوم دفاع
قد كان سيدنا الداعي عشيرته لا تبعدن فنعم السيد الداعي

(١) النوح جمع نائحة على غير قياس

ورثائيتها المشهورة التي تقول فيها

كأن لم يكونوا حمى يتقى ... اذ الناس اذ ذاك من عز بزا
هم منعوا جارهم والنسا ... ء يحفز أحشاءها الموت حفزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح ... فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
وخيل تكدس بالدارعين ... وتحت العجاجة يجمزن جمزا
جززنا نواصي فرسانها ... وكانوا يظنون ان لن تجزا
فمن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لن يصاب فقد ظن عجزا
نعف ونعرف حق القرى ... ونتخذ الحمد مجدا وكنزا
ونلبس في الحرب نسج الحديد ... ونلبس في الامن خزا وقزا

ورائيتها السائرة مسير الامثال

اغر ابلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار
جلد جميل المحيا كامل ورع ... وللحروب غداة الروع مسعار
حمال الوية هباط أودية ... شهاد اندية للجيش جرار
لايمنع القوم ان سالوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلمى الكنانية وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ ففخرتهما في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسي فينشدونه ،فيفضل من يرى تفضيله ،فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال لولا أن أبا بصير انشدني آنفا لفضلتك على شعراء الموسم . فاغتاظ حسان بن ثابت (رض) من تفضيل الاعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن أبيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء انشديه فانشدته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا فحلا،

فقال حسان أنا والله أشعر منك ومن أبيك حيث اقول

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى　　وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق　　فا كرم بنا خالا وا كرم بنا ابنما

فقالت الخنساء ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت لنا الجفنات والجفنات مادون العشر فقللت العدد ، ولوقلت الجفان لكان ا كثر، وقلت الغر والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان ا كثر، وقلت يلمعن واللمع شي يأتي بعد الشيء ، ولو قلت يشرقن لكان ا كثر لان الاشراق ا كثر من اللمعان ، وقلت بالضحى ولو قلت بالدجى لكان ا كثر في المديح، لان الضيف بالليل ا كثر طروقا ، وقلت اسيافنا والاسياف دون العشرة ، ولو قلت سيوفنا لكان ا كثر ، وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولوقلت يسلن لكان ا كثر لانصباب الدم ، وقلت دَما والدماء ا كثر من الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك!! فسكت حسان ولم يحر جوابا ، وقام منكسرا منقطعا ، وقد سئل جرير من اشعر الناس ؟ فقال انا لولا الخنساء ، قيل بم فضلتك ؟ قال بقولها

ان الزمان وما يفنى له عجب　　ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس

ان الجديدين في طول اختلافهما　　لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له او كذلك الخنساء ؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تماضر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابية ، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم ، بيد انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسلبها (١) على ابيها واخويها ، وقد بلغ من وجدها على صخر انها عميت من البكاء ، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل بها بنو عمها عليه وقالوا يا أمير المؤمنين لو نهيتها ، فدخل عليها فوجدها على ماوصفت من تعريج مآقيها ، فقال لها ما اقرح مآقي عينيك ياخنساء ؟ فقالت بكائي على السادات

(١) تسلبت المرأة لبست السلاب وهو الحداد والتسلب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى متى ؟ اتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ، وانه لو خلد احد لخلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم اعضاء اللهب وحشو جهنم ، فقالت ذلك أطول بعويلي عليهم ، ثم استنشدها فأنشدته ارتجالا :

سقى جدثا اكناف غمرة (١) دونه — من الغيث ديمات الربيع ووابله
وكنت اعير الدمع قبلك من بكي — فأنت على من مات بعدك شاغله

فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجوزكم فكل امرئ يبكي شجوه

وقد رآها مرة تطوف بالبيت محلوقة تبكي وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر في خمارها فوعظها وقال انه لا يحل لك لطم وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت عن ذلك وقالت

هريقي من دموعك واستفيقي — وصبرا ان اطقت ولن تطيقي
بعاقبة فان الصبر خير — من النعلين والرأس الحليق

ولما لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لها ان الاسلام قد هدم كل الذي تصنعين انشأت تقول :

الا يا صخر لا انساك حتى — أفارق مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخرا — واذكره بكل مغيب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي — على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن — أسلي النفس عنه بالتأسي
فقد ودعت يوم فراق صخر — ابي حسان لذاتي وأنسي

فقالت عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جيلة ، فقالت نعم ان لشعاري سببا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح ، فاتلف فيهامالهُ حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا ، فأتيته وشكوت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لناشيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكناف النواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فعذلته ، ثم قالت ان زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتها فأعطها أخس مالك فانما هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنحها خيارها　　وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت قددت خمارها　　واتخذت من شعر صدارها(١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك تخذت هذا الصدار ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى رضوان الله وابتغاء مثوبته ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بنيها الاربعة يوم القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت مع بنيها الاربعة وحضرت الوقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، و بالله على أعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطرمت لظى سياقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمغنم والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدار ثوب بلا كمين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن و يصح أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري والشاميون الصدرية

أولادها الاربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنه ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

باب الأخبار والآراء

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشئ هذه المجلة وهو في ساحته معلنة الاسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأ كثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر انحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبغي الاستياء الشديد والتعريض والتنديد وتهنئ صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعد نجاته عناية من الله بالعلم والاسلام وانا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخرين

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبته بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغر انه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بعصا فجرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فاخطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص تلغراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

« وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبلين يربو على الخمسمائة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العثماني عربة

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الاهل والاحباب إلى ان اقترب الجميع من سوق العطارين فتصدى كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الاستاذ وابتدره بضربة على رأسه بعصا فلم تصبه تماما فأراد أن يضربه ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي بيده وتمسك بالمصاحتى أخذها من كامل فما كان منه إلاّ ان أشهر مسدسين واخطر كلّ من يقترب منه بالموت العاجل فاقترب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد ردعه فاطلق عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك لدار الشيخ محمد الرافعي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من بيدهم أمر الضبط، الكدر عمومي من جراء ذلك، الاستاذ لم يبد عليه أثر كدر بل تحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استعفى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوسطة »

فنهنئ صديقنا الاستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التحري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تنكيلا له وارهابا لغيره (الاتحاد العثماني)

* * *

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار وافى الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المعدة لنزوله هجم عليه أحد الاهالي وضربه بعصا على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق كأنه لم يأت شيئا مذكورا

نقول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغرى مدفوعا بيد أعلى فعسى أولياء الامور ان يبحثوا ليقفوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الاقل (لسان الحال)

* * *

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المعتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتئذ في وجه الظالمين وقفة طويلة.
ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد الى طرابلس فمر ببيروت حيث قوبل مقابلة شائقة جديرة به وبعد الاقامة في بيروت اياما سافر الى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي. فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس واعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون. وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومعهم الموسيقى فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص المحبين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقى واطلاق البارود الى منزل فضيلة مضيفه الاستاذ الشيخ محمد الرافعي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه. وحدث في في اثناء الطريق ان شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعصا وضربه بها فأصابت شطر رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ باطلاق النار على الجمهور وفر هاربا وكان هذا العمل مدعاة للمفاخرة بالسيد رشيد ووردت عليه تلغرافات التهنئة من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والاعيان والعلماء. وزاره القومندان واعرب عن اسفه وظهر ان الشقي مدفوع بأيدي اناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط واعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه ان يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له احسن وقع

وقد اهتم والي بيروت بالاعتداء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكيلا لمتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن اذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فانا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملنا ان يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم (الاهرام)

* * *

اعتداء ذميم — ورد كتاب من طرابلس ينبيء بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنار بينما كان جمهور عظيم يحتفل بقدومه وضربه بعصا على رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تلقى العصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء · فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلانيك تستشيرها في إعلان الاحكام العرفية في طرابلس بعد حادثة السجن وهذا الحادث الموجب للاسف · أما الجاني فالهمة مبذولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن (الجريدة)

* * *

اتانا من غير مكاتبنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفإ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي فشهر هذا مسدسين وجعل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هاربا ولم يصب أحد بسوء والحمد لله · وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكنا رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة · وقد وردت الرسائل من انحاء سورية بتهنئته واستنكار فعلة ذلك الشقي · وقد طير البرق خبر ماجرى الى دولة والي بيرت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دولة الوالي وكيلا لمتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعدما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي يقال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه · ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمون منزل الشيخ الرافعي لتهنئة ضيفه الكريم بالقدوم والسلامة (المقطم)

* * *

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الاحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والاحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم (وفي رواية الاحوال انه عبد القادر مؤذن) وابتدره بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فما كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم يزل هناك وقد اتفقت الاحوال والاتحاد العثماني على تواني من بيدهم أمر الضبط في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث و يستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه (المؤيد)

الدولة العلية و بلغاريا والنمسا

ما أكثر العبر في أعمال البشر وما أقل المعتبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيئة عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خليطه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأتيه حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! وان ما يمر على الذاكرة من اشباه هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من يتدبر و يعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره مما لا سبيل إلى كتمانه واخفائه ، بل هو مما يصل إلى كل حس و يقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصح على إطلاقه إلا اذا كان التهذيب والاستقلال في عرف الفلاسفة

أمرا حلالا طيبا ، والحق الذي لامراء فيه ان الانسان مهما استكنه أحوال البشر فانه لا يحيط علما إلا بجزء يسير من كلّ كبير ، وعليه فلا تثريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبا ، بل على من فعل وهو يوقن انه مخطئ ،

أعلنت النمسا في السابع من اكتوبر الماضي انها ألحقت مقاطعتي بوسنه وهرسك بمملكتها وانها صارتا بهذا الالحاق جزءا منها ! ! فقلب هذا الحادث كيان السياسة الأوربية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى مايراد بها فصرفها عن القيام بالاصلاح الداخلي ، وكانت بلغاريا سبقتها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك بيومين ، فكان هذا وما سبقه صادفا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجىء في عالم السياسة حربا ضروسا تشتعل جذوتها في (ترنوفو) ثم تمتد الى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان ، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يحمل بعض دول أوربا الكبرى على خوض غمراتها ، فيكنّ اذ ذاك من جناتها وكماتها ، وفي ذلك من الويلات والمصائب مافيه على ان هذا الفكر والذهاب إليه ليس من باب الحدس والتخمين ، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحمّ الامر وجف القلم ، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات اخبار الفلج والخذلان

عظم على العثمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدوره آخرون ، على أنه لامحل للغرابة فان بلغاريا تتحفز لهذا الامر منذ أمد بعيد ، وإنما دعاها الى التسرع ماتتوقعه من سيدتها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضى عليها نصف عقد من الاعوام وهي دستورية حرة ، فانها اذ ذاك تخشى أن تعبث بحقوقها وتستهين بسيادتها فأسرعت الى اعلان استقلالها وهي تكاد لاتتوقع من وراء ذلك الا احتجاجا يتلوه سكوت ورضى ، لانها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لايرون من الصواب الدخول في حرب اقل مايخشى فيها من الخسار ان تنقلب الحال الى ما كانت عليه — لاقدر الله — وفي ذلك البلاء الجم والمصاب العمم

إن استقلال بلغاريا يتألم له العثماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة